وأقبل عليه بقلبه ووجهه ، ولا يحدث فى صلاته ، ولا يجعل بين عينيه صورة مصنوعة يدعوها ويتضرع إليها .

فالذين اختاروا تلك الصلاة التى هى فى الحقيقة استهزاء بالمعبود لا يرضاها المخلوق لنفسه فضلا أن يرضى بها الخالق على هذه الصلاة التى لو عرضت على من له أدنى مُسْكَة من عقل لظهر له التفاوت بينهما .. هم الذين اختاروا تكذيب رسوله وعبده على الإيمان به وتصديقه واتباعه .

فالعاقل إذا وازن بين ما اختاروه ورغبوا فيه وبين ما رغبوا عنه تبين له أن القوم اختاروا الضلالة على الهدى والغى على الرشاد ، والقبيح على الحسن ، والباطل على الحق ، وأنهم اختاروا من العقائد أبطلها ، ومن الأعمال أقبحها ، وأطبق على ذلك أساقفهم[1] وبتاركهم ورهبانهم فضلاً عن عوامهم وسقطهم .

فصل : ولم يقل أحد من المسلمين إن ما ذكرتم من صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد وراهب وقسيس كلهم تبين له الهدى ، بل أكثرهم جهال بمنزلة الدواب السائمة ، معرضون عن طلب الهدى فضلاً عن تبيينه لهم ، وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم ، وهم أقل القليل وهم الذين اختاروا الكفر على الإيمان بعد تبين الهدى . وأى إشكال يقع للعقل فى ذلك ؟ ولم[2] يزل فى الناس من يختار الباطل ، ومنهم[3] من يختاره جهلاً وتقليداً لمن يحسن الظن به ، ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبراً وعلواً ، ومنهم من يختاره طمعاً ورغبة فى مأكل أو جاه أو رياسة ، ومنهم من يختاره حسداً وبغياً ، ومنهم من يختاره محبة فى صورة وعشقاً ، ومنهم من يختاره خشية ومنهم من يختاره راحة ودعة ، فلم تنحصر أسباب اختيار الكفر فى حب الرياسة والمأكلة .

فصـــل

[السؤال الثانى]

وأما السؤال الثانى وهو قولكم[4] : « **هَبْ أنهم اختاروا الكفر لذلك فهلا اتبع الحق من لا رياسة له ولا مأكلة إما اختياراً وإما قهراً ؟** » .

فجوابه[5] : أنا قد بينا أن أكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقه اختياراً لا اضطراراً وأكثرهم أولو العقول والأحلام والعلوم ممن لا يحصيهم إلا الله ، فرُقعة الإسلام إنما انتشرت

---

(١) الأسقف : رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران . وجمع : أساقفة . وأساقف .

(٢) فى المخطوطة « فلم » (٣) فى المخطوطة « فمنهم » :

(٤) أصل المخطوط « فصل » . وأما المسألة الثانية وهى قولكم » وقد صححنا نحن ما رأينا .

(٥) فى المخطوطة « فجوابه من وجوه » أحدها » ولم يذكر المؤلف وجوهاً .

فى الشرق والغرب بإسلام أكثر الطوائف ، دخلوا دين الله أفواجاً حتى صار الكفار معهم تحت الذلة والصغار .

وقد بينا أن الذين أسلموا من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أكثر من الذين لم يسلموا ، وأنه إنما بقى منهم أقَلُّ القليل ، وقد دخل فى دين الإسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم فى حياة رسول الله ﷺ خلق كثير ، فهذا ملك النصارى على إقليم الحبشة ، فى زمن النبى ﷺ لما تبين له أنه رسول الله آمن به ودخل فى دينه وآوى أصحابه ومنعهم من أعدائهم ، وقصته أشهر من أن تُذكر ، ولما مات أعْلَمَ رسول الله ﷺ أصحابه بالساعة التى توفى فيها وبينهما مسيرة شهر ، ثم خرج بهم إلى المصلى وصلى عليه [1]

النجاشى يكرم المسلمين ، ويرفض صنيع الكافرين

روى الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى ، عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جَارٍ النجاشى ، أَمِنَّا على ديننا ، وعبدنا الله لا نُؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا على أن يبعثوا إلى النجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأُدُمُ [2] فجمعوا له أُدُماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وعمرو بن العاص ، وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بَطْرِيق هديته قبل أن تُكَلِّما النجاشى فيهم ، ثم قدما إلى النجاشى هداياه ، ثم سَلاَهُ أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. قالت : فخرجا فقدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار مع خير جوار [3] ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى . ثم قالا لكل بطريق : إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا : نعم .

ثم إنهما قربا هداياهما إلى النجاشى فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك إنه قد

---

(١) صحيح . البخارى فى الجنائز : باب الصفوف على الجنازة [٣/٢٢٢] ومسلم فى الجنائز . باب فى التكبير على الجنازة [٦٢ - ٦٧] .

(٢) الأُدُمُ : ما يُستَمْرَأُ به الخبز . والجمع : أُدُمٌ . وأدم الطعام : خلطه بالإدام .

(٣) فى السيرة النبوية «ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار» وفى البداية والنهاية «فنزلنا خير دار إلى خير جار» .

صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشى كلامهما ، فقالت بطارقته حوله : صدقوا[1] أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما ليردوهم إلى بلادهم وقومهم ، قالت : فغضب النجاشى ، ثم قال : والله لا أسلمهم إليهما ولا أكاد أن أُسْلِمَ أقواما جاورونى[2] ونزلوا ببلادى واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاورونى .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً فى ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوه ـ وقد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ـ سألهم فقال : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من هذه الأمم ؟ قالت : وكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال له : أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، يأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قالت : فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى

---

(١) فى السيرة النبوية لابن هشام [صدقاً أيها الملك/والأصح ما فى السيرة] .

(٢) فى السيرة «ولا يُكاد قومٌ جاورونى» وهو الأصح ، إلا إذا أصبحت عبارة المخطوطة هكذا «ولا أكاد أن أسلم أن جاورونى» .

بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك إيها الملك .

قالت : فقال النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشى : فاقرأه على ، فقرأ عليه صدراً من ﴿ كهيعص ﴾ [مريم : ١] ، قالت : فبكى والله النجاشى حتى اخضلت[1] لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقوا فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ولا أكيد ، قالت أم سلمة : فلما خرجنا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً أعيبهم عنده بما أستأصل به خضراءهم[2] ، قالت : فقال عبد الله بن أبى ربيعة وكان أبقى الرجلين فينا : لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد ، قالت : ثم غدا عليه من الغد فقال له : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه ، قالت : فأرسل إليهم فسألهم عنه ، قالت : ولم ينزل بنا مثلها .

فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض : ما تقولون فى عيسى إذا سألكم عنه ، قالوا : نقول والله فيه ما قال الله عز وجل وما جاء به نبينا كائناً فى ذلك ما هو كائن ، فلما دخلوا عليه قال لهم : ما تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاء به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التى ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه ، فضرب النجاشى يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال : ما عدا عيسى ابن مريم ما قُلْتَ هذا العود ، فتناخرت[3] بطارقته حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم ، وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضى ـ والسيوم : الآمنون ـ مَنْ سَبَّكُم غَرِمَ من سبكم غرم ، ما أحب أن لى دبرَ ذَهَبٍ وأنى آذيت رجلاً منكم ـ والدبر : بلسان الحبشة الجبل ـ ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة إلى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاعَ الناسُ فِىَّ فأطيعهم فِيه .

قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءوا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار ، قالت : فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه ، قالت : فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عند ذلك تخوفاً أن يظهر على النجاشى فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه .

قالت : فسار النجاشى وبينهما عرض النيل ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَنْ رَجُلٌ

---

(١) يقال : خَضِلَ : نَدِىَ وابتلَّ . وأخضَلَ الشىء : نَدَّاه وَبلَّه . واخضَلَّ : خَضِلَ .

(٢) المعنى : ما يراه فيهم من محاسن تدعو إلى الرضا .

(٣) نخر : نَخِرَت بخاشيمه . يقال : ما بالدار ناخر : أى أحد .

يخرج حتى يحضر وقعة القوم حتى يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير : أنا ، وكان من أحدث القوم سِنًّا ، قالت : فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم ، قالت : ودعونا الله للنجاشى بالظهور على عدوه والتمكين له فى بلاده فاستوثق له أمر الحبشة ، فكنا عنده فى خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ[1].

فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشى كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمرى ، فلما قُرِىء عليه الكتاب أسلم ، وقال : « لو قدرت على أن آتيه لأتيته » وكتب إليه رسول الله ﷺ أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ففعل وأصدق عنه أربعمائة دينار ، وكان الذى تولى التزويج خالد ابن سعيد بن العاص بن أمية ، وكتب إليه رسول الله ﷺ أن يبعث إليه من بقى عنده من أصحابه ويحملهم ففعل ، فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله ﷺ بخيبر ، فشخصوا إليه فوجدوه قد فتح خيبر ، فكلم رسول الله ﷺ المسلمين أن يدخلوهم فى سهامهم ففعلوا[2].

فهذا ملك النصارى قد صدَّق رسول الله ﷺ وآمن به واتبعه . وكم مثله ومن هو دونه ممن هداه الله من النصارى قد دخل فى الدين ، وهم أكثر بأضعاف مضاعفة ممن أقام على النصرانية .

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه ، وقبالتهم رجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة .

فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله ، وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبكم الله مِنْ رَكْبٍ ؟ بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ؟ ما نعلم ركْباً أحمق منكم ؟ أو كما قالوا .

فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نَأْلُ من

---

(١) القصة إسنادها صحيح . انظر السيرة النبوية لابن هشام [١/٢٠٥ - ٢٠٨] والبداية والنهاية لابن كثير [٣/٧٢ - ٧٦] .

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد [٢/٢٣] والسيرة النبوية [٣/٢٧٠] والبداية والنهاية [٣/٨٣ ، ٨٤ ، ٢٠٥ - ٢٠٨] .

أنفسنا خيرا ،ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، ويقال فيهم نزلت : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّنَا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ [القصص : ٥٢ ـ ٥٥] . وقال الزهرى : ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن فى النجاشى وأصحابه[١] .

نصارى نجران وشهادة حق للإسلام

قال ابن إسحاق : ووفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة ، فحدثنى محمد ابن جعفر بن الزبير ، قال : لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر ، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون فى مسجده فأراد الناس منعهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **دعوهم** » فاستقبلوا المشرق فصلّوا صلاتهم ، وكانوا ستين راكباً ، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم ، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم ، هم « العاقب » أمير القوم وذوو رأيهم وصاحب مشورتهم والذى لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره ، واسمه عبد المسيح ، و « السيل » ثمالهم[٢] وصاحب رحلهم ومجمعهم ، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكان « أبو حارثة » قد شرف فيهم ودرس كتبهم ، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم . فلما وجهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران جلس أبو حارثة على بغلة متوجهاً إلى رسول الله ﷺ وإلى جنبه أخ له يقال له : كرز بن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبى حارثة ، فقال له كرز : تَعِسَ الأبْعَدُ يريد رسول الله ﷺ ، فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست . فقال : ولِمَ يا أخى ؟ فقال : والله إنه النبى الذى كنا ننتظره ، فقال له كرز : فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا ؟ فقال : ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه ، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى ، فأصرّ عليها أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك[٣] .

فهذا وأمثاله من الذين منعتهم الرياسة والمأكل من اختيار الهدى وآثروا دين قومهم . وإذا كان هذا حال الرؤساء المتبوعين الذين هم علماؤهم وأحبارهم كان بقيتهم تبعاً لهم ، وليس بمستنكر أن تمنع الرياسة والمناصب والمآكل للرؤساء ويمنع الأتباع تقليدهم ، بل هذا هو الواقع والعقل لا يستشكله .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير [٣/٣٩٤] والسيرة النبوية [٢/٢٤٤ ، ٢٤٥] والبداية والنهاية [٣/٨٢] والصحيح المسند من أسباب النزول [ص ٨٧] .

(٢) ثمالهم : أصلهم الذى يقصدون إليه ، وكلمة « السيل » كما ورد فى المخطوطة ليست صحيحة ، والصحيح كما ورد فى السيرة والبداية « السيد » وهو اسم رئيس من رؤسائهم الثلاثة .

(٣) انظر السيرة النبوية [٢/٣٧٦ ، ٣٧٧] والبداية والنهاية [٥/٥٦] .

قصة إسلام عدى بن حاتم الطائى

وكان من رؤساء النصارى الذين دخلوا فى الإسلام لما تبين لهم أنه هو الحق ، الرئيس المطاع فى قومه « عدى بن حاتم الطائى » ونحن نذكر قصته كما رواها الإمام أحمد والترمذى والحاكم وغيرهم .

قال عدى بن حاتم : أتيت النبى ﷺ وهو جالس فى المسجد ، فقال القوم : هذا عدى ابن حاتم ـ وجئت بغير أمان ولا كتاب ـ فلما دفعت إليه أخذ بيدى ، وقد كان قال قبل ذلك : « **إنى لأرجو**[1] **أن يجعل الله يده فى يدى** » قال : فقام لى ، فلقيته امرأة وصبى معها فقالا : إن لنا إليك حاجة ، فقام معهما حتى قضى حاجتهما ، ثم أخذ بيدى حتى أتى بى داره **فألقت** له الوليدة وسادة فجلس عليها ، وجلست بين يديه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « **ما يُفِرُّكَ**[2] **أن تقول لا إله إلا الله ؟ فهل تعلم من إله سوى الله ؟** » قال : قلت : لا ، ثم تكلم ساعة ، ثم قال : « **ما يفرك أن يقال الله تعالى أكبر ، وهل تعلم أن شيئاً أكبر من الله ؟** » قال : قلت : لا .

قال : « **فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلال** » قال : قلت : فإنى حنيف مسلم ، قال : فرأيت وجهه ينبسط فرحاً ، قال : ثم أمر بى فأُنزلت عند رجل من الأنصار جعلت أغشاه آتيه طرفى النهار ، قال : فبينا أنا عنده عشية إذ جاءه قوم فى ثياب من الصوف من هذه النمار[3] ، قال : فصلى وقام فحث عليهم . ثم قال : « **ولو بصاع ، ولو بنصف صاع ، ولو بقبضة ، ولو ببعض قبضة ، يَقى أحدكم وجهه حَرَّ جهنم أو النار ولو بتمرة ولو بشق تمرة ، فإن أحَدَكم لاَقِى الله وقَائِلٌ له ما أقول لكم : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أجعل لك مالاً وولداً ؟ فيقول : بلى ، فيقول : أين ما قدمت لنفسك ؟ فينظر قُدَّامَهُ وخلفه وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئاً يقى وجهه حر جهنم ، لِيَقِ أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإنى لا أخاف عليكم الفَاقَة ، فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى لتسير الظَّعِينَةُ فيما بين يثرب والحِيرَةِ أكْثَرُ ما يُخَافُ على مَطِيَّتِهَا السَّرَق** »[4] ، قال : فجعلت أقول فى نفسى فأين لصوص طَيِّئ ؟ وكان عَدِىٌّ مطاعاً فى قومه بحيث يأخذ المرباع[5] من غنائمهم .

---

(١) فى عبارة المخطوطة « إنى لا أرجو » والصواب ما أثبتناه من كتب الحديث .

(٢) ما يُفِرُّك أى يحملك على الفرار . من فَرَّ . وورد بالمخطوطة . ما يضرك . وقد أثبتنا . ما يفرك . تبعا لما جاء فى الترمذى ومسند أحمد .

(٣) النِّمار : كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر .

(٤) صحيح . الترمذى فى تفسير القرآن . سورة فاتحة الكتاب [٢٩٥٣ م] وأحمد فى المسند [٤/٣٧٨ ، ٣٧٩] وصحيح الجامع للألبانى [٨٢٠٢] .

(٥) المِرْبَاعُ : رُبْعُ الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية . والجمع : مرابيع .

وقال حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين قال : قال أبو عبيدة بن حذيفة : قال عدى بن حاتم : بعث الله محمداً ﷺ فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط ، فخرجت حتى أتيت أقصى أرض العرب مما يلى الروم ، ثم كرهت مكانى أشد مما كرهت مكانى الأول ، فقلت : لو أتيته فسمعت منه ، فأتيت المدينة فاستشرفنى الناس ، وقالوا : جاء عدى بن حاتم الطائى ! جاء عدى بن حاتم الطائى ! فقال : « **يا عدى بن حاتم الطائى أسلم تسلم** » فقلت : إنى على دين ، قال : « **أنا أعلم بدينك منك** » قلت : أنت أعلم بدينى منى ؟ قال : « **نعم** » قال هذا ثلاثاً ، قال « **ألست ركوسيا** »[1] ، قلت : بلى ، قال : « **فإن ذلك قومك** » ، قلت : بلى ، قال : « **ألست تأخذ المرباع** » ، قلت : بلى ، قال : « **فإن ذلك لا يحل لك فى دينك** » ، قال : فوجدت بها على غضاضة[2] ، ثم قال : « **لعله أن يمنعك أن تسلم أن ترى عندنا خصاصة ، وترى الناس علينا ألباً**[3] **واحداً ، هل رأيت الحيرة ؟** » قلت : لم أرها وقد علمت مكانها ، قال : « **فإن الظعينة**[4] **سترحل من الحيرة تطوف بالبيت بغير جوار ، وليفتحن الله علينا كنوز كسرى بن هرمز** » ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : « **كنوز كسرى بن هرمز ، وليفيض المال حتى يهم الرجل من يقبل منه صدقته** » قال : فقد رأيت الظعينة ترحل من الحيرة بغير جوار ، وكنت أول خيل أغارت على المدائن ، ووالله لتكونن الثالثة إنه حديث رسول الله ﷺ[5] .

سلمان يتحدث عن رحلته إلى الإسلام

وقد كان « سلمان الفارسى » من أعلم النصارى بدينهم ، وكان قد تيقن خروج النبى ﷺ فقدم المدينة قبل مبعثه ، فلما رآه عرف أنه هو النبى الذى بشر به المسيح ، فآمن به واتبعه ، ونحن نسوق قصته .. قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم ، عن محمود ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : حدثنى سلمان الفارسى مِنْ فِيهِ ، قال : كنت رَجلاً فارسياً من أهل أصبهان[6] من قرية يقال لها جِى ، وكان أبى دهقان[7] قريته ، وكنت أحب خلق

---

(١) رَكُوسِيًّا : الرُّكُوسِيَّةُ : فرقة لها دينٌ ومذهب بين النصارى والصابئين .

(٢) غَضَاضة : الذِّلة والمنقصة ، والعيب . يقال : لا غضاضة عليك فى هذا الفعل .

(٣) الأَلْبُ : القوم يجتمعون على عداوة إنسان . يقال : هم عليه أَلْبٌ واحد .

(٤) الظعينة : الراحلة يرتحل عليها ، والهودج .

(٥) الحاكم فى المستدرك وصححه ووافقه الذهبى [٥١٨/٤] وأحمد فى المسند [٣٧٨/٤] . وانظر السيرة النبوية [٤٢٧/٤ - ٤٢٩] والبداية والنهاية [٦٣/٥ - ٦٨] .

(٦) مدينة عظيمة مشهورة ، من أعلام المدن وهى اسم للإقليم كله ، صحيحة الهواء نفيسة الجو ، كان فتحها فى بعض سنة ٢٣ هـ وبعض سنة ٢٤ هـ فى خلافة عمر بن الخطاب [معجم البلدان ٢٦٩/١ - ٢٧٥] .

(٧) الدِّهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم والجمع : دهاقنة ، ودهاقين .

الله إليه لم يزل حبه إياى حتى حبه إياى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية[1]، فاجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار التى توقدها لا نتركها تخبو ساعة .

وكانت لأبى ضيعة عظيمة فشغل فى بنيان له يوماً ، فقال : يا بنى إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب إليها فاطلعها ، وأمرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : ولا تحتبس عنى فإنك إن احتبست عنى كنت أهم إلى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شىء من أمرى .

فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمْرُ الناس لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعته فلم آتِهَا ، ثم قلت لهم : أين أصْلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام .

فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : يا بنى أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله مازلت حتى غربت الشمس ، قال : أى بنى ! ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، فقلت له : كلا والله إنه لخير من ديننا .

فخافنى فجعل فى رجلى قيداً ثم حبسنى فى بيته ، وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم ، فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبرونى ، فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنونى بهم ، قال : فلما أرادوا الرجعة أخبرونى بهم فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : مَنْ أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا : الأسقف فى الكنيسة ، فجئته فقلت له : إنى قد رغبت فى هذا الدين ، وأحببت أن أكون معك فأخدمك فى كنيستك ، وأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل فدخلت معه

فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال[2] من ذهب وَوَرِق[3]، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع ، ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء

---

(١) فى السيرة النبوية «وكنت أحب خلق الله إليه ، لم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية» وهو الأصوب .

(٢) قِلَال : مفردها : قُلَّة : وهى إناء من الفخار يشرب منها .

(٣) وَرِق : الفضة ، مضروبة كانت أو غير مضروبة . والجمع : أوراق ، ووراق .

يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه و لم يعط المساكين منها شيئاً ، فقالوا لى : وما علمك بذلك ؟ قلت : أنا أدلكم على كنزه ، فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً ، فصلبوه ورموه بالحجارة .

وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيت رجلاً يصلى ـ أرى ـ أنه أفضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأبُ ليلاً ولا نهاراً منه ، فأحببته حباً لم أحبه شيئاً قبله ، فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان إنى قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه أحداً قبلك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ فقال : أى بنى والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه ، ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه .

فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل ، فقلت له : يا فلان إن فلاناً أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بى إليك وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟، قال: يابنى والله ماأعلم رجلاً على مثل ماكنا عليه إلارجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به.

فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبى ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ فقال : يا بنى ! والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فَأْتِه . فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبرى ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم ، فاكتسبت حتى كانت لى بقيرات وغنيمة ، ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إنى كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يا بنى والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه . ولكنه قد أطل زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب ، مهاجره إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى .. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، ثم مات وغيب ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث . ثم مر بى نفر مِنْ كَلْبٍ تجار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقيراتى هذه

وغنيمتى هذه ، قالوا : نعم فأعطيتهم فحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده ، فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحق فى نفسى ، فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فحملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى ، فأقمت بها .

وبُعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إنى لفى رأس عِذْق[1] لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان قاتل الله بنى قيلة[2] والله إنهم الآن لمجتمعون معنا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى ، فلما سمعتها أخذتنى العرواء[3] حتى ظننت أنى ساقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول ؟

فغضب سيدى فلكمنى لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك ، فقلت : لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال ، وقد كان عندى شيء جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقبا فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم ، فقربته إليه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « **كلوا** » وأمسك فلم يأكل ، فقلت فى نفسى : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً .

وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئته به ، فقلت : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها ، فأكل رسول الله ﷺ ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، فقلت فى نفسى : هاتان اثنتان ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعَلَىَّ شملتان لى وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى فلما رآنى ﷺ استدبرته عرف أنى أستثبت فى شيء وصف لى ، فألقى الرداء عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله وأبكى ، فقال لى رسول الله ﷺ : « **تحول** » فتحولت فجلست بين يديه ، **فقصصت عليه** حديثى كما حدثتك يـابن عباس ، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه .

---

(١) عِذْق : كل غصن له شعب ، وقنو النخلة . الجمع : أعذاق ، وعُذُوق .

(٢) قال ابن هشام : قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، أم الأوس والخزرج .

(٣) العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض .

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد ، قال سلمان : ثم قال لى رسول الله ﷺ : « كَاتِبْ يا سلمان » ، فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أحبسها له بالفقير ، وأربعين أوقية ، فقال رسول الله ﷺ : « أعينوا أخاكم » فأعانونى بالنخل ؛ الرجل بثلاثين ودية[1] ، والرجل بخمسة عشر ، والرجل بعشر ، يعيننى الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلثمائة ودية ، فقال لى رسول الله ﷺ : « اذهب يا سلمان فَفَقِّر[2] لها فإذا فرغت فأتنى أكن أنا أضعها بيدى » ففقرت ، وأعاننى أصحابى حتى إذا فرغت جئته فأخبرته . فخرج معى إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودى ويضعه رسول الله ﷺ بيده حتى فرغت ، فو الذى نفس سلمان بيده مماتت منها ودية واحدة ، فأديت النخل وبقى على المال ، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : « ما فعل الفارسى المكاتب » فدعيت له فقال : « خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان » فقلت : وأين تقع يا رسول الله مما على ؟. قال : « خذها فإن الله سيؤدى بها » فأخذتها فوزنت منها لهم والذى نفسى بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم ، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتنى بعد مشهد[3].

حديث بين هرقل وأبى سفيان عن نبى الإسلام

وكان ملك الشام ـ أحد أكابر علمائهم بالنصرانية ـ هرقل قد عرف أنه رسول الله ﷺ حقاً ، وعزم على الإسلام فأبى عليه عباد الصليب ، فخافهم على نفسه ، وضن بملكه ـ مع علمه ـ أنه سينقل عنه إلى رسول الله ﷺ وأمته ـ ونحن نسوق قصته .

ففى الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس ، أن أبا سفيان أخبره مِنْ فِيهِ إلى فيه ، قال : انطلقت فى المدة التى كانت بينى وبين رسول الله ﷺ ، قال : فبينا أنا بالشام إذْ جِيءَ بكتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل ، وقد كان دحية بن خليفة[4] جاء به فدفعه إلى عظيم بُصْرَى[5] ، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل ، فقال هرقل : هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ قالوا : نعم ، قال : فدعيت فى نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه ، وأجلسوا أصحابى خلفى ، فدعا بترجمانه فقال : قل لهم إنى سائل هذا عن الرجل الذى يزعم أنه نبى فإنْ كَذَبَنى فكذِّبوه ، فقال أبو سفيان : وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر علىَّ الكذب لكذبت .

ثم قال لترجمانه : سله كيف حَسَبُهُ فيكم ؟ قال : قلت : هو فينا ذو حسب .. قال :

---

(١) الوَدِىُّ : صغار الفسيل ، واحدتها : وِدِيَّة . (٢) فَقِّر للفسيلة : حفر لها حفرة لتغرس فيها .

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام [١/١٣٣ - ١٣٧] .

(٤) دِحْية بن خليفة الكلبى ، صحابى جليل كان أحسن الناس وجهاً ، أسلم قديماً ، وبعثه النبى فى آخر سنة ست من الهجرة بعد أن رجع من الحديبية بكتابه إلى هرقل . وكانت وفاة دحية فى خلافة معاوية .

(٥) بُصْرَى : مدينة بين المدينة ودمشق . وقيل : هى حوران .

فهل كان من ابائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : ومن اتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم ، قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : لا ، بل يزيدون ، قال : فهل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخْطَةً[1] له ؟ قال : قلت : لا ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال : قلت : يكون الحرب بيننا وبينه سِجَالاً يصيب منا ونصيب منه ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه فى مدة ما ندرى ما هو صانع فيها .

قال : فوالله ما أمكننى من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه ، قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قلت : لا . قال لترجمانه : قل له إنى سألتك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث فى أحساب قومها ، وسألتك هل كان فى آبائه ملك ؟ فزعمت أن لا ، فقلت : لو كان فى آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه ، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت أن لا ، فقد عرفت أنه لم يكن لِيَدَعِ الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله عز وجل ، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له ؟ فزعمت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم . وسألتك هل قاتلتموه فزعمت أنكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرُسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة . وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فقتل : لو قال هذا القول أحد من قبله قلت رجل إِتْتَمَّ بقولٍ قيل قبله .. ثم قال : فيم يأمركم ؟ قلت : يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف .

قال : إن يكن ما تقول حقاً إنه لنبى ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أنى أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لَغَسَلْتُ عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قَدَمَىَّ .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، فإذا فيه : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد .. فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أَسْلِمْ تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك أثم الأريسيين**[2] و ﴿ **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ**

---

(١) سُخْطَة : من ارتد عن دين الإسلام غير مكره ، بل لرغبة فى غيره لهوى فى نفسه .

(٢) الأريسيين جمع أريسى قال ابن سيده : الأريس : الفلاح . وقيل : هو الأمير . **قال أبو عبيدة : المراد بالفلاحين أهل =**

وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ » [آل عمران : ٦٤] . فلما قرأه وفرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكَثُرَ اللَّغَطُ ، وأمر بنا فأُخرجنا ، ثم أذن هرقل لعظماء الروم فى دسكرة[١] له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلّقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ! هل لكم فى الفلاح والرشد وأن تثبت مملكتكم فتبايعوا هذا النبى ؟ فحاصوا[٢] حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم علىّ ، فقال : إنى قلت مقالتى آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم ، وقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه[٣] . فهذا ملك الروم ـ وكان من علمائهم أيضاً ـ عرف وأقر أنه نبى وأنه سيملك ما تحت قدميه وأحب الدخول فى الإسلام فدعا قومه إليه فولوا عنه معرضين كأنهم حُمُرٌ مستنفرة فَرَّتْ من قَسْوَرة ومنعه مُن الإسلام الخوف على مُلكه ورياسته ، ومنع أشباه الحمير ما منع الأمم قبلهم .

رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء وموقفهم منه

ولما عرف « النجاشى ملك الحبشة » أن عباد الصليب لا يخرجون عن عبادة الصليب إلى عبادة الله وحده أسلم سرًّا ، وكان يكتم إسلامه بينهم هو وأهل بيته ولا يمكنه مجاهرتهم ، ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ أرسل إليه عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه مكانه يدعوه إلى الإسلام ، فقال له عمرو : يا أصحمة ! علىَّ القول وعليك الاستماع : إنك كأنك فى الرقة علينا منا وكأنا فى الثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيراً قطُّ إلا نلناه ، ولم نخفك على شىء قط إلا أمناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقَاضٍ لا يجور ، وفى ذلك موقع الحَزِّ وإصابة المفصل ، وإلا فأنت فى هذا النبى الأُمّى كاليهود فى عيسى ابن مريم ، وقد فَرَّق النبى ﷺ رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه لخبر سالف وأجر منتظر .

فقال النجاشى : أشهد بالله إنه للنبى الأُمّى الذى ينتظره أهل الكتاب ، وأن بشارة زكريا براكب الحمار كبشارة أشعياء براكب الجمل[٤] ، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر .

= مملكته ، لأن كل من يزرع فهو عند العرب فلاح ، سواء كان يلى ذلك بنفسه أو بغيره . وقال الخطابى : أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له ، لأن الأصاغر أتباع الأكابر .

(١) الدَّسْكَرة : بناء كالقصر حول بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهى . يكون للملوك . والجمع : دساكر .

(٢) حاصوا : أى نفروا ، وشبههم بالوحوش لأن نفرتها أشد من نفرة البهائم الإنسية ، وشبههم بالحمر دون غيرها من الوحوش لمناسبة الجهل وعدم الفطنة بل هم أضل .

(٣) صحيح . البخارى فى بدء الوحى [١/٤٢ - ٤٤] وفى مواضع أخرى متعددة .

(٤) ورد فى المخطوطة « وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل » وهو موافق لما ورد فى رسالة النجاشى

قال الواقدى : وكتب رسول الله ﷺ إليه : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة .. أسلم أنت فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، حملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله إليك ، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى** »[1] ..

فكتب إليه النجاشى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشى أصحمة ، سلام عليك يا نبى الله من الله وبركات الله الذى لا إله إلا هو .. أما بعد فلقد بلغنى كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقاً ، إنه كما ذكرت ، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ، وقد قَرَّ بنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد إنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين [2] . و « **الثُفروق** » علامة تكون بين النواة والتمرة .

فصل : وكذلك ملك دين النصرانية بمصر المقوقس ، عرف أنه نبى صادق ، ولكن منعه من اتباعه ملكه وأن عباد الصليب لا يتركون عبادة الصليب .

ونحن نسوق حديثه وقصته ، قال الواقدى : كتب إليه رسول الله ﷺ : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإنى أدعوك بداعية الإسلام ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ﴿ يَاأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا** »

كما جاء فى سفراء النبى وكتابه ورسائله [ص ٣٤] . لكن الذى بشر براكب الحمار - وهو عمر بن الخطاب - زكريا بن برخيا وهو غير زكريا الذى ورد ذكره فى القرآن ، ونص بشارته « ابتهجى جدا يابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم . هو ذا ملكك يأتى إليك هو عادل ومنصف وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » [زكريا ٩ : ٩ متى ٢١ : ٥] يقول الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتاب قصص الأنبياء « وكان فى زمن داريوس أى قبل زمن المسيح بما يقرب من ثلاثة قرون وهو الذى تكلم فى كتابه فى الفصل التاسع عن ولاية عمر بن الخطاب وغلبه على أورشليم ودخوله إليها منصوراً وادعاً راكباً على حمار [ص ٣٦٨] .

أما الذى بشر براكب الجمل - وهو محمد ﷺ - فهو إشعياء ونص بشارته « اذهب أقم الحارس . ليخبر بما يرى . فرأى ركابا أزواج فرسان . ركاب حمير . ركاب جمال » [إشعياء ٢١ : ٦ ، ٧] . [السقا] .

(٢) انظر سفراء النبى وكتابه ورسائله للدكتور مختار الوكيل ص ٣٣ . (سلسلة كتابك) .
الثفروق : هو ما بين النواة وقمع التمر ، والجمع : ثفاريق .

اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ » [آل عمران : ٦٤] وختم الكتاب[١] .

فخرج به حاطب حتى قدم عليه الإسكندرية ، فانتهى إلى حاجبه فلم يلبث أن أوصل إليه كتاب رسول الله ﷺ ، وقال حاطب للمقوقس لما لقيه : إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ﴿ فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى ﴾ [النازعات : ٢٥] ، فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك . قال : هات ، قال : إن لنا ديناً لم ندعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافى به الله فقد ما سواه ، إن هذا النبى دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى، ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد .

وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبى أدرك قوماً فهم من أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه ، فأنت ممن أدرك هذا النبى ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به .

فقال المقوقس : إنى قد نظرت فى أمر هذا النبى فرأيته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آلة النبوة من إخراج الخبء والإخبار بالنجوى[٢]، ووصف لحاطب أشياء من صفة النبى ﷺ ، وقال : القبط لا يطاوعوننى فى اتباعه ، ولا أحب أن تعلم بمحاورتى إياك ، وأنا أضن بملكى أن أفارقه ، وسيظهر على بلادى وينزل بساحتى هذه أصحابه من بعده ، فارجع إلى صاحبك .

وأخذ كتاب النبى ﷺ فجعله فى حُقٍّ[٣] من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد .. فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام عليك » ولم يزد[٤] .

والجاريتان : مارية وسيرين ، و « البغلة » دُلْدُل ، وبقيت إلى زمن معاوية .

قال حاطب : فذكرت قوله لرسول الله ﷺ ، فقال : « **ضن الخبيث بملكه ، ولا بقاء لملكه** » .

---

(١) انظر سفراء النبى وكتابه ورسائله للدكتور مختار الوكيل صـ ٣٧ .

(٢) الخَبْء : المُدَّخر ، والمخبوء ، والنجوى : إسرار الحديث .

(٣) حُقّ : وعاءٌ صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما .

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير [٢٧٢/٤] وسفراء النبى وكتابه ورسائله صـ ٣٨ .

فصل : وكذلك « ابنا الجلندى ملكا عمان وما حولها » من ملوك النصارى أسلما طوعاً واختياراً ، ونحن نذكر قصتهما وكتاب رسول الله ﷺ إليهما ، وهذا لفظه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبيد ابنى الجلندى[1]، سلام على من اتبع الهدى .. (أما بعد) .. فإنى أدعوكما بداعية الإسلام ، أسلما تسلما ، فإنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وَلَّيتُكما مكانكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلى تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما »[2] . وختم الكتاب وبعث به مع عمرو بن العاص .

قال عمرو بن العاص : فخرجت حتى انتهيت إلى عمان ، فلما قدمتها انتهيت إلى عبيد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خُلُقاً ، فقلت : إنى رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك ، فقال : أخى المقدم علىَّ بالسن والملك ، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ، ثم قال لى : وما تدعو إليه ؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عُبد من دونه ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : يا عمرو إنك سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة ؟ قلت : مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ووددت أنه كان أسلم وصدّق به ، وكنت أنا على مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام .

قال : فمتى تبعته ؟ قلت : قريباً . فسألنى أين كان إسلامى ؟ فقلت : عند النجاشى وأخبرته أن النجاشى قد أسلم ، قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقَرُّوه ، قال : والأساقفة والرهبان ؟ قلت : نعم . قال : انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس خصلة فى رجل أفضح له من كذب ، قلت : ما كذبت وما نستحله فى ديننا ، ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشى ، قلت : بلى ، قال : بأى شىء علمت ذلك ؟ قلت : كان النجاشى يخرج له خِراجاً فلما أسلم وصدّق بمحمد ﷺ قال : لا والله لو سألنى درهماً واحداً ما أعطيته ، فبلغ هرقل قوله ، فقال : له نياق أخوه : أتدَعُ عبدك لا يُخرج لك خِراجاً ويدين ديناً محدثاً ؟ قال هرقل : رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ما أصنع به ، والله لولا الضن بملكى لصنعت كما صنع .

قال : انظر ما تقول يا عمرو ؟ قلت : والله لقد صدقتك ، قال عبيد : فأخبرنى ما الذى

---

(١) اختلفت المصادر فيما بينها فى اسمى صاحبى عمان فقال ابن كثير : جيفر بن الجلندى وعمار بن الجلندى ، وقال ابن هشام : « جيفر وعياد بنى الجلندى **الأزديين** » وقال ابن القيم : « جيفر وعبد الله بن الجلندى **الأزديين** انظر البداية والنهاية [٢٧٣/٤] والسيرة النبوية [٤٤٩/٤] وزاد المعاد لابن القيم [٣١/١] .

(٢) انظر سفراء النبى وكتابه ورسائله صـ ٤١ .

يأمر به وينهى عنه ؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ، ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان ، وعن الزنا وشرب الخمر ، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب ، فقال : ما أحسن هذا الذى يدعو إليه لو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدّق به ، ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير دِيِّناً . قلت : إنه إن أسلم ملَّكَهُ رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم ، قال : إن هذا لخلق حسن ، وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات فى الأموال حتى انتهيت إلى الإبل ، فقال : يا عمرو ويؤخذ من سوائمِم[1] مواشينا التى ترعى الشجر وتَرِدُ المياه ؟ فقلت : نعم ، فقال : والله ما أرى قومى فى بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا ، قال : فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبرى . ثم إنه دعانى يوماً فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعىِ[2] ، فقال : دعوه فارسلت ، فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعونى أجلس ، فنظرت إليه فقال : تكلم بحاجتك ، فدفعت إليه الكتاب مختوماً ففض خاتمه فقرأه حتى انتهى إلى آخره ، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته إلا أنى رأيت أخاه أرق منه ، ثم قال : ألا تخبرنى عن قريش كيف صنعت ؟ فقلت : اتبعوه إما راغب فى الإسلام وإما مقهور بالسيف ، قال : ومن معه ؟ قلت : الناس قد رغبوا فى الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا فى ضلال ، فما أعلم أحداً بقى غيرك فى هذه الحرجة[3] ، وإن أنت لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضرائك ، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال ، قال : دعنى يومى هذا وارجع إلَىَّ غداً ، فرجعت إلى أخيه ، فقال : يا عمرو إنى لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه . حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبَى أن يأذن لى فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أنى لم أصل إليه فأوصلنى إليه ، فقال : إنى فكرت فيما دعوتنى إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما فى يدى وهو لا يبلغ خيله ههنا ، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال مَنْ لاَقَى ، قلت : وأنا خارج غداً ، فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه فقال : ما نحن فيما قد ظهر عليه ، وكل من أرسل إليه قد أجابه ، فأصبح فأرسل إلَىَّ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدَّقا النبى ﷺ ، وخليا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لى عوناً على من خالفنى .

وكتب النبى ﷺ إلى هوذة بن على الحنفى « صاحب اليمامة » : « **بسم الله الرحمن**

---

(١) السائمة : كل إبل أو ماشية ترسل للرعى ولا تُعْلَف .

(٢) ضبعى : الضَّبْعُ : ما بين الإبْط إلى نصف العضد من أعلاه . وهما ضَبْعان .

(٣) الحَرَجَةُ : غيضة الشجر الملتفة لا يقدر أحد أن ينفذ فيها . والجمع : حَرَجٌ ، وجراج .

الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هوذة بن على ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخُفّ والحَافِر ، فأسلم تسلم ، أجعل لك ما تحت يدك »[1] .

وكان عنده أركون دمشق عظيم من عظماء النصارى فسأله عن النبى ﷺ ؟ وقال : قد جاءنى كتابه يدعونى إلى الإسلام ، فقال له الأركون : لم لا تجيبه ؟ فقال : ضننت بدينى وأنا ملك قومى إن اتبعته لم أملك ، قال : بلى والله لئن اتبعته ليمكنك وإن الخيرة لك فى اتباعه ، والله إنه للنبى العربى الذى بشر به عيسى ابن مريم ، والله إنه لمكتوب عندنا فى الإنجيل .

فصل : وذكر الواقدى أن رسول الله ﷺ بعث شجاع بن وهب إلى « الحارث بن أبى شمر » وهو بغوطة[2] دمشق ، فكتب إليه مرجعه من الحديبية : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبى شمر ، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق ، فإنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك** » وختم الكتاب

فخرج به شجاع بن وهْب ، قال : فانتهيت إلى حاجبه فوجدته يومئذ وهو مشغول بتهيئة الإنزال والإلطاف لقيصر وهو جَاءٍ من حمص إلى إيليا[3] حيث كشف الله عنه جنود فارس شكراً لله عز وجل ، قال : فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إنى رسول رسول الله إليه ، فقال حاجبه : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا ، وجعل حاجبه ، وكان رومياً اسمه مرى ، يسألنى عن رسول الله ﷺ وما يدعو إليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ، ويقول : إنى قرأت فى الإنجيل وأجد صفة هذا النبى بعينه . فكنت أراه يخرج من الشام فأراه قد خرج بأرض العرب ، فأنا أؤمن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث بن أبى شمر أن يقتلنى ، قال شجاع : فكان هذا الحاجب يكرمنى ويحسن ضيافتى ، ويخبرنى عن الحارث ما بالناس منه ، ويقول : هو يخاف قيصر ، قال : فخرج الحارث يوماً وجلس فوضع التاج على رأسه فأذن لى عليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، وقال : من ينتزع منى ملكى ؟ أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته ، علىَّ بالناس ، فلم يزل جالساً يعرض حتى الليل ، وأمر بالخيل أن تنعل[4] ، ثم قال : أخبر صاحبك ما ترى ، وكتب إلى قيصر يخبره خبرى فصادف قيصر بإيليا وعنده دحية الكلبى قد بعثه إليه رسول الله ﷺ ،

---

(١) انظر سفراء النبى وكتابه ورسائله ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣) إيلياء ، وإيليا : معناه بيت الله وهو بيت المقدس .

(٤) يقال : نعل الدابة : كسا حافرها أو حفها ما يقيه .

فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب إليه أن لا تَسِرْ إليه والْهَ عنه ووافنى بإيليا ، قال : ورجع الكتاب وأنا مقيم ، فدعانى وقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ قلت : غداً ، فأمر لى بمائة مثقال ذهباً ، ووصلنى مرى بنفقة وكسوة ، وقال : اقرأ على رسول الله ﷺ منى السلام وأخبره أنى متبع دينه ، قال شجاع : فقدمت على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « **باد ملكه** » وأقرأته من مرى السلام وأخبرته بما قال ، فقال رسول الله ﷺ : « **صدق** » .

فصل : ونحن إنما ذكرنا بعض ملوك الطوائف الذين آمنوا به وأكابر علمائهم وعظمائهم ولا يمكننا حصر من عداهم وهم جمهور أهل الأرض ، ولم يتخلف عن متابعته إلا الأقلون ، وهم : إما مسالم له قد رضى بالذلة والجزية والهوان ، وإما خائف منه فأهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلمون له ، ومسالمون له ، وخائفون منه .

إسلام عبد الله بن سلام وموقف اليهود منه

ولو لم يسلم من اليهود فى زمنه إلا سيدهم على الإطلاق وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم باعترافهم له بذلك وشهادتهم « **عبد الله بن سلام** » لكان فى مقابلة كل يهودى على وجه الأرض فكيف وقد تابعه على الإسلام من الأحبار والرهبان من لا يحصى عددهم إلا الله .

ونحن نذكر قصة عبد الله بن سلام ، روى البخارى فى صحيحه من حديث عبد العزيز ابن صهيب عن أنس بن مالك ، قال : أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فقالوا : جاء نبى الله ، فاستشرفوا ينظرون ، إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لأهله يخترف[1] لهم منه ، فعجل أن يضع الذى يخترف لهم فيها فجاء وهى معه ، فسمع من نبى الله ﷺ ثم رجع إلى أهله ، فلما خلا نبى الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام ، فقال : أشهد أنك نبى الله حقاً وأنك جئت بالحق ، ولقد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىَّ ما ليس فىَّ .

فأرسل نبى الله ﷺ إليهم فدخلوا عليه ، فقال لهم نبى الله ﷺ : « **يا معشر اليهود ويلكم ! اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً ، وأنى جئتكم بحق ، أسلموا** » ، قالوا : ما نعلمه ، فأعادها عليهم ثلاثاً وهم يجيبونه كذلك ، قال : « **أى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟** » قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : « **أفرأيتم إن أسلم ؟** » ، قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم ، فقال : « **يا ابن سلام اخرج عليهم** » فخرج عليهم فقال: يامعشر اليهود ويلكم، اتقوا الله! فوالله الذى لاإله إلاهو إنكم

---

(١) خَرَف فى بستانه : أقام فيه وقت اجتناء الثمر فى الخريف . وخرف الثمر : جناه فى الخريف .

لتعلمون أنه رسول الله حقاً، وأنه جاء بالحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم النبي ﷺ[1].

وفى صحيح البخارى أيضاً من حديث حميد عن أنس، قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو فى أرض له، فأتى النبى ﷺ فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟، قال: «**أخبرنى بهن جبريل آنفاً**»، قال: جبريل؟، قال: «**نعم**»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: ثم قرأ هذه الآية ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ**﴾ [البقرة: ٩٧]. ثم قال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق والمغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه**» فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، إن اليهود قوم بُهُتٌ[2]، وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى يبهتونى، فجاءت اليهود إليه، فقال: «**أى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟**» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام**» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله[3].

وقال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن يحيى بن عبد الله، عن رجل من آل عبد الله بن سلام، قال: كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حبراً عالماً قال: سمعت رسول الله ﷺ وعرفت صفته واسمه وهيأته والذى كنا نتوكف له[4]، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما قدم نزل معنا فى بنى عمرو بن عوف، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ، كبرت، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى: لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت.

قال: قلت لها: أى عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بُعث بما بُعث به، فقالت: يابن أخى أهو النبى الذى كنا نبشر به أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت:

---

(١) صحيح. البخارى فى مناقب الأنصار. باب هجرة النبى وأصحابه إلى المدينة [٧/٢٩٣، ٢٩٤].

(٢) يقال: بهته فلان: قذفه بالباطل، وقوم بهت: هم الذين يبهتون بما سمع مما يعترونه عليه من الكذب.

(٣) صحيح. البخارى فى مناقب الأنصار. باب كيف آخى النبى بين أصحابه [٧/٣١٩] وفى التفسير. من سورة البقرة [٨/١٥].

(٤) تَوَكَّف فلان لفلان: تعرض له حتى يلقاه. وتوكف فلاناً: تعهده وينظر فى أمره.

لها نعم ، قالت : فذاك إذن ، قال : ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا ، وكتمت إسلامى من اليهود ، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت : إن اليهود قوم بُهُتٌ وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك تغيبنى عنهم ثم تسألهم عنى كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى ؟ فإنهم إن علموا بذلك بهتونى وعابونى .

قال : فأدخلنى بعض بيوته ، فدخلوا عليه فكلموه وسألوه ، فقال لهم : « **أى رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟** » ، قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ، قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشر اليهود ! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم فى التوارة اسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله ، وأؤمن به وأصدقه وأعرفه ، قالوا : كذبت ، ثم وقعوا فِىَّ ، فقلت : يا رسول الله ألم أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور ؟! قال : فأظهرت إسلامى وأسلم أهل بيتى ، وأسلمت عمتى ابنة الحارث فحسن إسلامها[1] .

وفى مسند الإمام أحمد وغيره عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وانجفل[2] الناس قبله ، فقالوا : قدم رسول الله ﷺ ، قال : فجئت فى الناس لأنظر إلى وجهه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شىء سمعته منه أن قال : « **يأيها الناس أطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصِلُوا الأرحام ، وصَلُّوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام** »[3] .

فعلماء القوم وأحبارهم كلهم كانوا كما قال الله عز وجل : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** ﴾ [البقرة : ١٤٦] ، فمنهم من آثر الله ورسوله والدار الآخرة ، ومنهم من آثر الدنيا وأطاع داعى الحسد والكبر .

وفى مغازى موسى بن عقبة عن الزهرى ، قال : كان بالمدينة مقدم رسول الله ﷺ أوثان تعبدها رجال من أهل المدينة لا يتركونها ، فأقبل عليهم قومهم وعلى تلك الأوثان فهدموها ، وعمد أبو ياسر بن أخطب أخو حيى بن أخطب وهو أبو صفية زوج النبى ﷺ فجلس إلى النبى ﷺ . فسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه وذلك قبل أن تصرف القبلة نحو المسجد الحرام فقال أبو ياسر : يا قوم أطيعونى فإن الله عز وجل قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه .

---

(١) إسناده حسن . السيرة النبوية لابن هشام [٣٢٨/٢ ، ٣٢٩] والبداية والنهاية لابن كثير [٢١١/٣ ، ٢١٢] .

(٢) انجفل الناس : قال السيوطى : أى ذهبوا مسرعين . وفى الصحاح : انجفل القوم أى انقلبوا كلهم ومضوا .

(٣) صحيح . الترمذى فى صفة القيامة [٢٤٨٥] وابن ماجه فى إقامة الصلاة . باب ما جاء فى قيام الليل [١٣٣٤] وفى الأطعمة . باب إطعام الطعام [٣٢٥١] وأحمد فى المسند [٤٥١/٥] والحاكم فى المستدرك [١٣/٣] وابن سعد فى الطبقات [٢٣٥/٤] والسلسلة الصحيحة للألبانى [٥٦٩] .

فانطلق أخوه حيي حين سمع ذلك ـ وهو سيد اليهود يومئذ وهما من بني النضير ـ فأتى النبي ﷺ فجلس إليه وسمع منه ، فرجع إلى قومه وكان فيهم مطاعاً ، فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً ، فقال له أخوه أبو ياسر ، يـٰابن أمي أطعني في هذا الأمر ثم اعصني فيما شئت بعده لئلا تهلك ، قال : لا والله لا أطيعك واستحوذ عليه الشيطان فاتبعه قومه على رأيه[1] .

وذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عمن حدثه عن صفية بنت حيي أنها قالت : لم يكن من ولد أبي وعمي أحد أحب إليهما مني لم ألقهما في ولد قط إلا أخذاني دونه ، فلما قدم رسول الله ﷺ قبا نزل في بني عمرو بن عوف ، فغدا إليه أبي وعمي أبو ياسر ابن أخطب مغلسين[2] ، فوالله ما جاءا إلا مع مغيب الشمس ، فجاءا فاترين كسلين ساقطين يمشيان الهوينى[3] ، فهششت[4] إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلى واحد منهما ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : تعرفه بنعته وصفته ؟ قال : نعم والله ، قال : فماذا في نفسك منه ، قال : عداوته والله ما بقيت[5] .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ، قال : لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من اليهود وآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ، قال مَنْ كَفَر من اليهود : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً ، مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ، يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[6] [آل عمران : ١١٣ ، ١١٤] .

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير [٣/٢١٢] .

(٢) مغلسين : الغَلَسُ : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح .

(٣) الهُوَيْنَى : الاتئاد في المشي . يقال : هي تمشي الهوينى .

(٤) يقال : هش إليه وله : انشرح صدره سُروراً به .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات [٦/٣٣٠] وأورد صاحب «الصحيح المسند من أسباب النزول» سببين لنزول هذه الآية أحدهما ، ثم علق قائلاً : واختار الإمام أبو جعفر بن جرير الأول (أي سبب النزول الآخر الذي ذكره المؤلف) حيث قال بعد ذكره جملة من الأقوال غير أن الأولى بتأويل الآية قول من قال عنى بذلك - تلاوة القرآن في صلاة العشاء لأنها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله ثم يختم المؤلف حديثه مبيناً رأيه في ذلك فيقول : وأقول لا مانع من نزول الآية في الجميع أو أنه تعدد سبب نزولها والله أعلم» الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٤٦ ، ٤٧ . والذي أراه أن السبب الذي أورده ابن القيم ضعيف ، لأن فيه =